

النواتج النوروسيكولوجية للفصام دراسة حول الذاكرة الأوتوبيوغرافية والحالات الذاتية للوعي

الأستاذ: لكحل مصطفى
جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

مدخل:

إن دراسة الذاكرة الأوتوبيوغرافية يعتبر من الدراسات والبحوث العلمية الحديثة نسبيا بالرغم من ظهور بعض الإرهاصات الأولية لهذا النوع من البحوث وذلك بظهور كل من أعمال Galton و Freud و Ribot و Korsokoff ثم زاد الاهتمام بعد ذلك عندما تطور علم النفس المعرفي وعلى النفس النموولا زال الغموض على هذا المفهوم، لهذا الغرض جاء هذا البحث ليتناول بالتفصيل الجذور التاريخية لظهور هذا المصطلح تم التعريف به واستقصاء بعض التقنيات للبحث عن هذا النوع من الذاكرة وتقديم بعض النماذج التفسيرية لهذه الذاكرة وإبراز الروابط المتعلقة بينها وبين الوعي بالذات والهوية الشخصية عند المصابين بالفصام، وبالمقابل فإن مصطلح الوعي مفهوم قديم يكون أحيانا مرادفا لليقظة، لكن ليس هذا هو المقصود في بحثنا هذا، بل هو ما طوره Locke ونعني به هو ما يدركه الشخص وما يدور من حول نفسه، هذا ما دفع العديد من الباحثين اقتحام هذا الميدان والبحث فيه خاصة عندما يكون لديه علاقة مع الذاكرة. وعليه، ففي هذا العمل البحثي كذلك سوف نتناول بالدراسة الوعي من منظور علم النفس المعرفي والتطرق إلى أنواع حالات الوعي الممكنة، التي تسمح لنا بالتجريب عليها وتقسيمها والبحث عن كل المتغيرات التي تؤثر في حالات الوعي خاصة عند المصابين بالفصام.

I- الذاكرة الأوتوبيوغرافية والفصام:

1- المقاربة التاريخية للذاكرة الأوتوبيوغرافية:

إن الدراسة العلمية للذاكرة الأوتوبيوغرافية هي حديثة نسبيا، ولهذا تم انتظار مجيء أعمال كل من غالتون (Galton) (1879) وفرويد (Freud) (1893) فيما يخص الاهتمام الذي خصصناه لدراسة الذاكرة

الأوتوبيوغرافية بحيث اهتم Galton بالتغيرات التي تطرأ على الذكريات أثناء الزمن.

في حين درس Freud الذاكرة عندما حاول علاج العصابات عن طريق التحليل النفسي واستنباط الذكريات خاصة تلك المتعلقة بالطفولة. وبهذا استخلص فرويد Freud بأن الذاكرة الأوتوبيوغرافية تمثل أداة هامة في فهم الانفعالات والشخصية والسلوك¹.

وفي إطار آخر شارك كل من Ribot (1881) و Korsakoff (1889) في هذا النوع من الدراسات وكان لهما الأثر البالغ في الدراسات الحالية.

في 1881 قام Ribot بتقديم نتائج مهمة جدا وهو أنه في دراسته لاضطرابات الذاكرة وجد بأن الذكريات هي عبارة عن الإطار العام للنفس ومن ناحية أخرى قدم منهجية تطور دراسة الذاكرة من خلال اضطرابها². وبعد سنوات رصد Korsakoff 1889 وصفا إكلينيكيًا لمرضى مصابون بفقدان الذاكرة بحيث أوجد بأن الذكريات القديمة ما زالت محفوظة وتترجم من خلال بعض السلوكيات الحركية.

وفي القرن 20 سجل غياب ملحوظ للدراسات والبحوث المتعلقة بالذاكرة الأوتوبيوغرافية لكن بعدها حدث تغيير كبير، ففي سنة 1991، في الملتقى العالمي حول الذاكرة بعض الدراسات قدمت في استكشاف الذاكرة لكنه قليل، وفي سنة 1996 في طبعته الثانية أي الملتقى العالمي حول الذاكرة.

أكثر من خمس مقالات حول موضوع دراسة الذاكرة الأوتوبيوغرافية³، هذا الميدان من البحوث بدأ يعرف حالياً بعض الاهتمام خاصة بعد تطور علم النفس المعرفي وعلم النفس النمو وعلم النفس الإكلينيكي.

2- تعريف الذاكرة الأوتوبيوغرافية:

على المستوى العام يمكن تعريف الذاكرة الأوتوبيوغرافية على أنها قدرة الفرد على استذكار تجاربه الماضية أو تسمى ذاكرة الأحداث الشخصية⁴. لكن بعض الباحثين اتجهوا في تعريفهم للذاكرة

1 - الخولي هشام محمد، الأساليب المعرفية وضوابطها في علم النفس، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2002، ص 239.

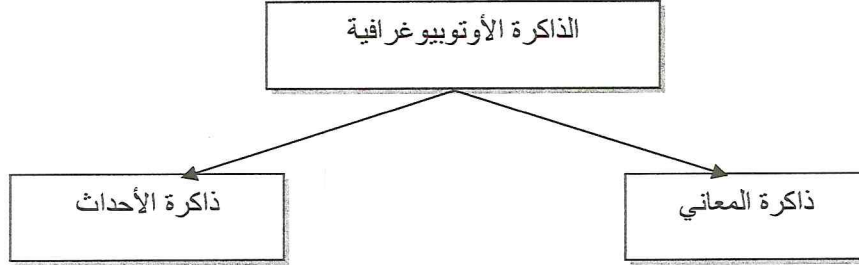
2 - المرجع نفسه، ص 241.

3 - Neves, Rui Dasilva, *psychologie cognitive*, Armand Colin, Paris, 2004, p 110.

4 - Serge Nicolas, *la psychologie cognitive*, Armand Colin, Paris, 2003, p 78.

الأوتوبيوغرافية كـBewer، وSwanson بأن الذكريات لا يمكن أن نسميها أوتوبيوغرافية إلا بالرجوع إلى ذات الشخص أو الفرد¹. وهذا النوع من الاختبار في تحديد هذا المفهوم يرجعه (1990 Conway) إلى أن عملية ترميز المعلومات تتدخل فيها الذات والوعي².

واتجه Piolino في تعريفه للذاكرة الأوتوبيوغرافية بأنها تمثل مكونات الوعي والذات الشخصية وسماها Conscience Ontogénique وفي اتجاه ومنحى المعطيات الحالية يمكننا أن نقدم تعريفاً بأن الذاكرة الأوتوبيوغرافية كمفهوم متعدد ومعقد يتكون من معارف عامة (المعاني) ومعلومات أو معارف خاصة (الأحداث)³.



- المكونات التي تحمل المعاني (Sémantique) تعتبر كقاعدة للمعلومات والمعارف النسبية الثابتة التي تتكون خلال مراحل الحياة والتي تتأثر بالثقافة والبيئة الاجتماعية.

- التي تحمل الأحداث تتكون من الذكريات الخاصة والتي تقع في الزمان والمكان مع التفاصيل الإدراكية أو العلاقات المكانية بين المواضيع والأشخاص هي التي تعطي للذكريات النوعية الخاصة لهذه الأحداث⁴.

وبالرغم من كل هذه الإجراءات والدراسات إلا أن هذا المفهوم يبقى تحديده غير دقيق ويختلف من باحث لآخر وهذا التنوع يخلق نوعاً من تقديم بعض الجهود العلمية المكثفة لضبط هذا المصطلح وتحديد مستقبله.

3- تقنيات البحث في الذاكرة الأوتوبيوغرافية:

1 - Neves, Rui Dasilva, Op.cit, p 115.

2 - Baddeley Alan, Op.cit, p 132.

3 -Pascalie Piolino, Béatrice Desgranges, Francis Eustache, la mémoire autobiographique théorie et pratique, solal édit, France, 2000, p 49.

4 - Pascalie Piolino, Béatrice desgranges, Francis Eustache, Op.cit, p 50.

إنّ الهدف من تقديم هذه التقنيات التي تعمل على استكشاف الذاكرة الأوتوبيوغرافية ليس الغرض منه سرد هذه التقنيات بل الوقوف على المبادئ الرئيسية لهذه الطرق وتوضيح كل الإيجابيات منها والتطرق إلى حدود استعمالاتها. هناك العديد من الطرق التجريبية التي قدمت في هذا الميدان. أعمال غالتون Galton:

قام Galton 1893 بتشجيع الدراسة المباشرة للذكريات واستخدم في ذلك المؤشر L'indice بحيث يقدم المجرب بتقديم كلمة «مؤشر» للشخص ويقدم له تعليمات من أجل استرجاع ذكريات معاشة متعلقة بالمؤشر المقدم له، إلا أن هذه التقنية وجدت صعوبة في تطبيقها¹.

الاستدعاء الحر Le rappel libre:

الاستدعاء الحر هو تقنية أخرى استعملت بشكل كبير في استكشاف الذاكرة الأوتوبيوغرافية، وتتص التعليمات على استرجاع معلومات محددة بمرحلة زمنية معينة مثلاً: استرجع ذكريات من هذا الشهر إلى السنة الموالية تكلم عن الأحداث في شهر الصيف الأخير. وفي الأخير يقوم بجمع المعلومات شفها أو كتابيا².

كذلك Drizsche اقترح طريقة أخرى وذلك باستدعاء مجموعة المعلومات الممكنة في 90 ثانية وهنا يقوم المجرب بتدوين المعلومات الخاصة بالمعاني (أسماء أقارب أو أساتذة) والمعلومات الخاصة بالأحداث والتي تتكون فيها تفاصيل بالزمان والمكان³.

لكن حسب Piolino أن الهدف الرئيسي لهذه التقنية هو اقتراح طريقة سريعة لتقييم الذاكرة الأوتوبيوغرافية إلا أن هذه التقنية لا يمكنها أن تراقب وتقيم ذاكرة الأحداث بطريقة دقيقة⁴. استبيانات لقياس الذاكرة الأوتوبيوغرافية:

أول الاستبيانات التي أعدت لاستكشاف وتقييم الذاكرة الأوتوبيوغرافية هي لـ Colegrove 1899 بالولايات المتحدة الأمريكية ولـ Victor et Catherine Henry بفرنسا.

1 - الزيات فتحي مصطفى، الأسس البيولوجية والنفسية للنشاط المعرفي، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1998، ص 91.

2 - الزيات فتحي مصطفى، المرجع السابق، ص 93.

3 - المرجع نفسه، ص 95.

4 - Pascale Piolino, Béatrice Desgranges, Francis Eustache, Op.cit, p 52.

الاستبيان الذي وضعه Colegrove يسمح بدراسة مختلف مراحل الحياة ويحتوي على 14 سؤال: مثال على ذلك ما هي ذكرياتك المتعلقة بالحديقة المتعلقة بالمدرسة الابتدائية، المدرسة الثانوية¹. في حين فرنسا اهتمت دراستهم إلا على الذكريات الخاصة بالطفولة. استبيان الذاكرة الأوتوبيوغرافية لـ Kopelman 1989:

هذا الاستبيان وضع من قبل Kopelman بانجلترا يحتوي على قسمين: قسم خاص بالمعلومات الشخصية التي تحمل المعاني وقسم يخص الأحداث الأوتوبيوغرافية والتي تحمل المعلومات الخاصة. يقوم هذا الاستبيان بالكشف عن 3 مراحل عمرية: الطفولة، المراهقة، الراشد والمرحلة الراهنة. كل مرحلة تحتوي على أسئلة شخصية للمعلومات الخاصة والمعلومات العامة².

أسئلة معلومات المعاني تكون لها علاقة مع معرفة الأسماء، العناوين، الأيام والتواريخ.

أسئلة معلومات الأحداث تكون لها علاقة مع استذكار كل تفاصيل الزواج، السفر، الاستشفاء والتي ترتبط بالزمان والمكان. هذا الاستبيان يستعمل في المصالح الاستشفائية خاصة مصلحة الأعصاب من أجل تقييم الذاكرة الأوتوبيوغرافية عند مرضى فقدان الذاكرة والمصابين بالخبل وبعض الأمراض العقلية.

استبيان الذاكرة الأوتوبيوغرافية لـ Piolino 2000:

هذا الاستبيان أعد بهدف اجتناب استخدام الطرق الأخرى خاصة الاستبيانات الأخيرة والتي ذكرت سابقا. هذا الاختبار يستكشف قدرة الفرد على استرجاع الأحداث الشخصية الخاصة والمفصلة لأربعة مراحل عمرية:

1- مرحلة الطفولة (سن 0-9).

2- مرحلة المراهقة (10 إلى 19).

3- مرحلة الرشد أكثر من 20 سنة.

4- المرحلة الراهنة (الاثنا شهرا الأخيرة).

ويتضمن كذلك تقييم حالة الوعي (Tulving 1985) المرافقة للذكريات المسترجعة، إن الباحثون استخلصوا تقييم للمحتوى الموضوعي (le quoi) (ما هو كيف)، والمحتوى

1 - Eustache, desgranges, Guillery, Lebreton, les conceptions multisystèmes de la mémoire, presse universitaire, Paris, 2000, p 171.

2 - Eustache, desgranges, Guillery, Lebreton, Op.cit, p 175.

المكاني (Le où) أين، والمحتوى الزمني (Le quand) متى، لكل ذكرى مسترجعة¹.

إن تقييم الحالات الذاتية للوعي تتكون من 3 إجابات ممكنة:

- الإجابات من نوع: أتذكر je me souviens .
- إجابات من نوع: أعرف je sais .
- إجابات من نوع: أفترض je suppose .

حسب Piolino فإن ذاكرة الأحداث تترافق مع الوعي الأوتونويتكي conscience auto-noétique وذاكرة المعاني تترافق مع الوعي النويتكي Conscience noétique هذا الاستبيان لا يحتوي على تناقضات زمنية والمدة لتمريره تقدر بساعتين.

وإعادة الاختبار مطلوب بعد 15 يوما من تطبيقه لأول مرة للتحقق من صدق الذكريات المسترجعة من قبل الفرد أو الشخص². ومع ذلك فإن هذا الاختبار يبقى صعب تطبيقه في الممارسة الإكلينيكية اليومية.

4- نماذج الذاكرة الأوتوبيوغرافية:

هناك عدة نماذج مقدمة لتفسير الذاكرة الأوتوبيوغرافية لكن سوف نصب اهتمامنا على نموذجين مهمين يخدمان هذا العمل البحثي وهونموذج تنظيم الذاكرة الأوتوبيوغرافية لـ Conway وكذلك نموذج Tulving.

* نموذج Endel Tulving:

حتى في سنة 1983 Tulving عرف ذاكرة الأحداث بأنها ذاكرة الأوتوبيوغرافية، ثم ركز بعد ذلك في 1984 على أن المعلومات المخزنة لها علاقة ورابطة مع الأحداث الشخصية الماضية والتي تكون قاعدة لتعريف الهوية الشخصية للفرد. المعلومات ذات المعاني المخزنة في الذاكرة ليست بالضرورة لها علاقة بالهوية الشخصية للفرد.

* الذات، الذاكرة الأوتوبيوغرافية والهوية الشخصية:

إن استدعاء الذكريات ينتج عن تفاعل بين الذاكرة الأوتوبيوغرافية والذات. إذن المرجعية للذات في الذكريات الأوتوبيوغرافية هي السمة التي تسمح بالتمييز بين الذكريات طويلة المدى.

1 - Pascale Piolino, Béatrice Desgranges, Francis Eustache, Op.cit, p 80.

2 - Pascale Piolino, Béatrice desgranges, Francis Eustache, Op.cit, p 82.

وبالضبط هي الرابط الذي يوحد إعادة الاستذكار الواعية *remémoration consciente* بمفهوم الذات والذي يعتبر المسؤول عن الطابع الموحد للذكريات¹.

بمعنى أنه لا يمكن لشخصين عاشا نفس الحدث أن يستدعيا نفس الذكريات، وإن إعادة الاستذكار الواعية *remémoration consciente* هي التي تسمح لكل فرد أن يتموقع داخل تاريخه الشخصي ويتدخل ذلك في بناء الهوية الشخصية لديه.

وفي سنة 1988 اقترح Tulving بأن الذاكرة الأوتوبيوغرافية تتكون من معلومات خاصة (أحداث) تقع في الزمان والمكان. ومكونات عامة المعاني والتي تجمع المعارف العامة في الماضي والتي لها علاقة مع الوعي والذات الشخصية².

* نموذج Conway:

النموذج اقترحه Conway يطور مفهوم الذاكرة الأوتوبيوغرافية والذي يهتم بتفسير وظيفة الذاكرة الأوتوبيوغرافية عند الأفراد العاديين، والذي من خلاله سوف تعتمد عليه في الجانب التجريبي في هذا العمل البحثي.

ويتضمن هذا النموذج الذكريات التي ترتبط بمجموعة من جوانب الشخصية وبكل تغيرات الأهداف والطموحات والانفعالات الخاصة بالذات الإنسانية.

إن النموذج النظري الذي اقترحه Conway وضع اللبنة الأولى في توضيح تلك العلاقة الوطيدة التي توجد بين بناء الهوية الشخصية والذاكرة الأوتوبيوغرافية³.

هذا النموذج يميز بين وحدتين، ذاكرة العمل الخاصة والمعارف الأوتوبيوغرافية.

- الذات العاملة (*Working self*) تتكون من أهداف الحياة والرغبات ودوافع الفرد.

إن مصطلح *working self* يترافق مع مفهوم ذاكرة العمل *Working memory* لـ Baddely وحسبه فإن ذاكرة العمل تحتوي على عدد من المكونات الوظيفية للمعرفة التي تسمح للفرد بالفهم والتمثل العقلي لبيئته المحيطة به⁴، ولاستنباط المعلومات عن ماضيه القريب

1 - Tulving Endel, *concepts of Human memory*, Oxford university press, 1991, p 32.

2 - Tulving Endel, Op.cit, p 37.

3 - Conway, *autobiographical memory*, Open University Press, England, 1990, p 230.

4 - Conway, Op.cit, p 232.

واكتساب معارف جديدة وحل المشكلات، والتعريف، وتكوين أو إخراج الأهداف.

إن المفهوم الرئيسي الذي نبحث عنه وهو أن قسم من ذاكرة العمل ينسق الأنظمة الأخرى في الذاكرة، ذاكرة العمل يمكن لها أن تسهل أو تثبط الدخول إلى المعلومات الأوتوبيوغرافية، إذن الذات لها دخل في اختبار الذكريات المسترجعة.

وكذلك فإن الذات تحرك المعرفة (Cognition) والسلوك وأن الأهداف الشخصية تلعب دورا كبيرا في تكوين وبناء الذكريات الخاصة المنظمة بطريقة متدرجة.

وحسب نظرية الذات التي قدمها Higgins يوجد 3 ميادين واضحة¹:

- الذات الحالية (الواقعية).
- الذات المثالية (التي تستمد من مرجعية معينة)
- الذات البارزة أو المحددة التي تستمد من الوالدين، المربين والمجتمع.

إن الهدف الرئيسي لذاكرة العمل هو تقليل كل التشعبات بين مختلف ميادين الذات، والذي يسمح بإثبات واستمرارية بين ذاكرة الأحداث وتمثل الذات.

إذن الذكريات الخاصة هي دعامة الذاكرة الأوتوبيوغرافية، وقاعدة العلاقات الداخلية الشخصية للفرد في بيئته ومحيطه.

5- الذاكرة الأوتوبيوغرافية والفصام:

يمكن أن نشاهد في الفصام اضطرابات بين الذاكرة الأوتوبيوغرافية والشخصية واتجهت بعض الدراسات بهدف الكشف تجريبيا عن الذاكرة الأوتوبيوغرافية عن الفصامين، لكن عندما بدأنا في هذا العمل وجدناها قليلة.

إن استبيان قياس الذاكرة الأوتوبيوغرافية لـ Kopelman 1989 استعمل من قبل Tamlyn 1992 من أجل الكشف عن أداء الذاكرة الأوتوبيوغرافية لمرضى فصامين، وتوصل إلى نتائج بأن الذاكرة الأوتوبيوغرافية عندهم مضطربة في مختلف مراحل الحياة (الطفولة، المراهقة، ومرحلة الرشد) وكذلك المرحلة الراهنة الأخيرة².

1 - Conway, Op.cit, p 234.

2 - Danion, Rizzo, Huron, Op.cit, p 102.

واستعمل كذلك Fenistein في سنة 1998 نفس الاستبيان على 19 حالة فصامية لقياس أداء هذا النوع من الذاكرة فتوصل إلى نتائج مفادها أن ذاكرة الأحداث وذاكرة المصابين مضطربة¹.

وفي سنة 1995 Baddely قام بالكشف عن أداء الذاكرة الأوتوبيوغرافية على 5 حالات فصامية تعاني من الهذيان وعلى 5 حالات فصامية بدون هذيان واستخدم كذلك نفس الاستبيان فتوصل إلى نتائج مفادها أن استرجاع المعلومات العامة (المعاني) كانت نسبيا جيدة لكل الحالات.

أما استرجاع المعلومات الخاصة (الأحداث) فكانت أقل استرجاعا من الحالات موضوع الدراسة².

وحسب Elvegag أن الكشف عن الذاكرة الأوتوبيوغرافية يسمح التعامل مع مفهوم المسار الحياتي للفرد وإمكانية دخوله إلى المرض³.

كل هذه الدراسات المقدمة انتهت إلى نتيجة أن الذاكرة الأوتوبيوغرافية للحالات المصابة بالفصام مضطربة وبها قصور إلا أن هذا النوع من الدراسات يبقى محدودا في التراث الأدبي النفسي.

II- الوعي والفصام:

1- تعريف الوعي:

إن البحث في الكشف عن الوعي؛ استثار اهتمام العديد من الباحثين، لكن في البداية كانت خاضعة للفلسفة.

إن الدراسة العلمية للوعي كمعرفة للذات بدأت ممكنة إلا بعد تطور علم النفس المعرفي.

في بداية الأمر درس الباحثون الوعي على أنها وظيفة بمعنى كوحدة لها القدرة على المراقبة، التنسيق والتكيف وقياس الوعي في هذه المرحلة كان بطريقة غير مباشرة وقد تتأثر بعدة متغيرات بحيث تقدم لنا نتائج غير دقيقة، لكن بعد ظهور مقاربات جديدة أمكنها الولوج والخوض في الوعي كتجربة ذاتية، ومن بين هذه المقاربات الخاصة نجد مقاربة Tulving والمسمّاة بـ "الشخص الأول" «à la première personne»

1 - Neves, Rui Dasilva, Op.cit, p 208.

2 - رضوان فوقية حسن، الاضطرابات المعرفية والمزاجية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2004، ص 318.

3 - المرجع نفسه، ص 321.

2- أنواع الحالات الذاتية للوعي:

في ميدان الذاكرة Endel Tulving 1985 كان له السبق في تقديم مقارنة سماها "للشخص الأول" «A la premiere personne»¹، بحيث تبين بأن المرجعية لحدث ماضي يتصاحب بحالة ذاتية للوعي تتغير بالدرجة أو الكيفية وأن الحالة الذاتية للوعي لها علاقة مع التجربة المعاشة ذاتيا لشخص ما عند استدعاء أو استرجاع حدث ماضي. هذه المقاربة تقترح بأن الوعي ليست ظاهرة موحدة أو متماسكة، بل يمكن أن تتجزأ من أجل استطاعة التجريب عليها وقياسها وتقييمها².

Tulving في سنة 1985 وصف ثلاث حالات مختلفة للوعي يتميز بها الثلاث الأنظمة للذاكرة الطويلة المدى، فاقترح مصطلحات مثل Autonoétique, noétique, anoétique من أجل تعريف الحالات الذاتية للوعي المصاحبة لذاكرة الأحداث وذاكرة المعاني والذاكرة الإجرائية.

وهذه المصطلحات لها أصل يوناني من كلمة «Noesis» بمعنى «فعل أو نشاط الذهن» «Action de penser».

الوعي ↔ نظام الذاكرة

أوتونوتيك ↔ الأحداث

نويتيك ↔ المعاني

أنوتيك ↔ الإجرائية

إن التعاريف المقدمة من طرف Tulving لهذه المعلومات هي كالاتي:
إن الذاكرة الإجرائية تتميز بالوعي الأنويتيك الذي لديه علاقة بقدرات الجهاز على إدراك الإحساسات والاستجابة للمثيرات الخارجية والداخلية والتي تسمح بتسجيل إدراك المعلومات، تمثل داخلي للمحيط القريب واستجابة سلوكية لمختلف جوانب هذا المحيط³.
- الوعي النويتيك يشترك مع ذاكرة المعاني والفرد له الوعي بالمعلومات المخزنة في الذاكرة، لكن لا يعرف مصدرها.

1 - Danion Rizzo Hurren, troubles de la mémoire à long terme dans la schizophrénie, l'encéphale, presse universitaire, France, 1998, p 75.

2 - Baddeley Alan, Op.cit, p 108.

3 - Baddeley Alan, Op.cit, p 118.

هذه الحالة من الوعي تتصاحب مع الشعور بالألفة Sentiment de Familiarité، الفرد هنا يمكنه أن يعرف بأن هذا الحدث له مكان لكن لا يمكنه معاودة معاشته ذهنياً¹.

- الوعي الأنوبيتي يترافق مع ذاكرة الأحداث، حسب Tulving 1997 هي حالة الوعي أين تسمح للفرد التحكم في ماضيه ومستقبله، هذه القدرة على السفر في الزمان هي خاصية تتميز بها ذاكرة الأحداث، هنا نتكلم عن إعادة الاستذكار بطريقة واعية للأحداث Remémoration consciente والتي تعني أنها قدرة الفرد على معاشة الحدث ذهنياً، الشعور بوجوده وكيونته، والتميز والتفريق بين الذكريات والأحلام، إنها تسمح بإدراك استمرارية مختلف المراحل الحياتية الحاضرة، الماضية والمستقبلية.

إنها قوام وقاعدة الهوية الشخصية وإدراك الزمن الذاتي².

3- المقاربة التجريبية للحالات الذاتية للوعي:

إن المقاربة النظرية التي قدمها Tulving سمحت لبعض الباحثين كـ 2000 Gardiner بالاهتمام بمختلف حالات الوعي وحاولوا تقييمها وقياسها تجريبياً واقترح مخططاً تجريبياً يسمى Remember/know أتذكر/ أعرف³، والذي من خلاله أوجد الباحثون طريقة تسمى بالتقييم الذاتي لحالات الوعي، أين المجرب يطلب مباشرة من الأشخاص تقدير كيفية الحالة الذاتية للوعي أثناء استرجاعه للمعلومات⁴، كالطريقة الكلاسيكية تستعمل مرحلة أين الفرد عليه أن يحفظ مجموعة من البنود في قائمة محددة، ثم يطلب منه استرجاع هذه المعلومات ويصف في نفس الوقت حالة وعيه المصاحبة لعملية التعرف.

هناك نوعين من الإجابات الممكنة:

- إجابات من نوع: "I remember" «Je me rappelle» أتذكر.

- إجابات من نوع: "Je sais" «أعرف I know.

عندما يقدم الفرد لنا إجابة من نوع أتذكر فهي تتصاحب مع التعرف على البنود التي تقصد إعادة الاستذكار الواعية Remémoration consciente بمعنى أنه يستذكر كل ظروف التعلم،

1 - Baddeley Alan, Op.cit, p 120.

2 - Cadet Bernard, *psychologie cognitive*, presse édition, Paris, 1998, p 205.

3 - Andler Daniel, *introduction aux sciences cognitives*, Gilmand édition, Paris, 1992, p 188.

4 - Andler Daniel, Op.cit, p 190.

والفرد هنا يتصاحب في هذه الحالة مع التعرف على حدث خاص نجم عن تفكيره وتعلمه¹.

وعندما يقدم لنا الفرد إجابة «أعرف» Je sais " هنا عملية التعرف تتصاحب بشعور الألفة، الفرد يعلم بأنه رأى البند لكن لا يمكنه معاودة معايشة الحدث ذهنيا من خلال تعلمه².

إن المخطط التجريبي المقدم R/K يسمح من جهة بفحص الأداءات الذاتية للفرد ومن جهة أخرى تقديم إرشادات حول التجارب الذاتية التي تتصاحب أثناء اختيار القرار.

4- المتغيرات المؤثرة في الحالات الذاتية للوعي:

إن نوع العلاقة الذي يمكن أن نجدها بين إجابات من نوع "أتذكر" و"أعرف" أحدث جدلا بين أوساط الباحثين.

إلا أن أحدث الدراسات التي اهتمت بهذا الميدان دراسة Yonelinas³، والذي اقترح بعض المتغيرات التي قد تؤثر في الحالات الذاتية للوعي وأرجعها إلى صعوبات أثناء الترميز أو الاسترجاع أو بالمنبهات أو بالمرض أو بالأجهزة الطبية.

* تغيرات أثناء عملية التشفير أو الترميز Encodage:

يلاحظ أن هناك زيادة في الاستنكار الواعي وبدرجة أقل الشعور بالألفة، وأكد كل من Gardiner وآخرون أن زيادة الاستنكار الواعي والشعور بالألفة عند أداء مواضيع مهمة في الإنتاج مقارنة بتلك التي يتم الحصول عليها في مهمة قراءة البنود ومع ذلك فإن الزيادة هي أكثر أهمية للاستنكار الواعي.

* تغيرات ناجمة عن تناول المهدئات:

هناك أثر كذلك ناجم عن البنزوديازيبينات (Benzodiazépines) خاصة في مرحلة الترميز أو التشفير من شأنه يؤدي إلى انخفاض أكبر في الاستنكار الواعي⁴.

* تغيرات ناجمة عن التفكك النوروالسيكولوجي:

أظهرت العديد من الدراسات أن نسبة الردود والاستجابات مثل "أتذكر" تتأثر بسن الفرد على النقيض من ردود واستجابات مثل "أنا أعرف"، وبالتالي فإن الاستنكار الواعي ينخفض عند كبار السن وربما يرجع إلى عدم وجود الترميز أو التشفير، وقد يكون كذلك العجز عند

1 - Cadet Bernard, Op.cit, p 215.

2 - Andler Daniel, Op.cit, p 193.

3 - Serge Nicolas, *Mémoire et conscience*, Armand Colin, Paris, 2000, p 21.

4 - Serge Nicolas, Op.cit, p 24.

مرض الفص الجبهي وفقدان الذاكرة. وأظهرت أبحاث أخرى لـ Yonelinas وآخرون بأنّ الشعور بالألفة لا يزال دون عائق وهذا حتّى عندما تظهر انخفاضاً كبيراً في الاستذكار الواعي¹.

* تغيرات ناجمة عن التصوير الوظيفي:

أظهر Gardiner وآخرون إلى أنّ هناك العديد من الأدلة التجريبية تشير إلى احتمال وجود أنماط مختلفة من التنشيط لهذين النوعين من الحالات الذاتية للوعي.

وفي الواقع، التصوير الوظيفي للمخ يؤكد أنّ هذين النوعين من الحالات الذاتية للوعي ترتبط بأنماط تنشيط الدماغ بحيث سجّلت وجود موجة إيجابية 500-700 مللي ثانية مرتبطة بإجابات "أتذكر"، وتعتمد على الفص الجداري وكذلك وجود موجة سلبية 600-1000 مللي/ثانية وتعتمد على الفص الجبهي².

وتقنية الرنين المغناطيسي سمحت بإظهار زيادة التصوير في نشاط المخ بشكل منفصل عن ردود أواستجابات من نوع "أتذكر" عنها من استجابات من نوع "أعرف".

إنّ البيانات التجريبية التي وصفناها تسمح إذن بالتحقق من صحة التمييز بين الاستذكار الواعي أو الشعور بالألفة.

5- الحالات الذاتية للوعي والفصام:

يوجد هناك عدّة متغيرات لها القدرة على التأثير في إعادة الاستذكار أو الشعور بالألفة عند الفصامين.

* الآثار المترتبة على تكرار حدوث الكلمات:

إنّ انخفاض في تردد الكلمات يتطلب ذلك خلال مرحلة التفسير وتنفيذ العمليات الإستراتيجية، وبالتالي تؤدي إلى زيادة الاستذكار الواعية، وأشار كل من Danion وآخرون بأنّ المرضى الذين يعانون من الفصام لديهم انخفاضاً في الاستجابات من نوع "أتذكر" في كلمات قليلة الحدوث، لكنهم لم يعثروا على وجود اختلاف في الكلمات ذات التردد العالي، نفس النمط من الأداء تجلّى في ردود واستجابات من نوع "أنا أعرف" واثمه مهما كان تواتر حدوث الكلمات.

1 - Shacter, à la recherche de la mémoire, Bruxelles, 1999, p 88.

2 - J. Gardiner, Episodic memory and autonoetic consciousness: a first person approach, seri biological sciences, 356,1351-1362, 2000, p 187.

وعليه، فإنّ نتائج الدراسات أكدت على وجود اضطراب في التعرف والتي يستند إلى التذكر الواعي، في حين الشعور بالألفة يبقى محفوظاً¹.

* ذاكرة المنبع أو المصدر:

إنّ العلاقة بين القصور في الاستنكار الواعي، والعجز في تجميع الجوانب المختلفة للحدث، قد درست عند مرضى الفصام من خلال تجارب Danion وآخرون وذلك باستخدام مهمة تمييز المصدر أو المنبع، بمعنى التعرف على أصل المعلومات، وجاءت نتائج هذه التجارب تظهر بأنّ أداء مرضى الفصام كانت مضطربة على مستوى التذكر الواعي، وأنّ هؤلاء المرضى يجدون صعوبة في تشكيل كامل ومتناسك وموحد لجميع الجوانب التي تحيط بالحدث والاستنكار².

إذن هناك علاقة نسبية مباشرة بين عجز جميع الجوانب المختلفة للحدث وقصور اضطراب الاستنكار الواعي عند الفصامين.

وإنّ دراسة الذكريات الزائفة كذلك تؤثر في الحالات الذاتية للوعي، وهذا يعني أنّ الأحداث التي ليس لها إطار مكاني، تُظهر بأنّ هناك عجز في الاستنكار الواعي، وهذا الأمر لوحظ عند مرضى الفصام، وهوننتيجة لاختلال بناء ذاكرة الأحداث.

وفي الوقت نفسه كذلك، أكدت بعض الدراسات والتي اهتمت بمضمون الوعي الأوتونوتيكي، وعليه فإنّ نتائج هذه الدراسات خلصت بأنّ هناك وجود خلل في تطوير العمليات الإستراتيجية أثناء التفسير وهو أمر ضروري لاستنكار الأحداث في المستقبل ذات الصلة بالفرد³.

ولا ننسى دراسة Danion وآخرون بحيث سلّطوا الضوء على تأثير الشحنة الانفعالية وشدّوا على أنّ هناك تأثير كبير للجانب العاطفي والانفعالي على الوعي الأوتونوتيكي عند مرضى الفصام⁴. وإضافة إلى ذلك فإنّ مرضى الفصام يفشلون في عملية الاستنكار الواعية وذلك عندما تتدخل الذات المرجعية ومستوى معالجة المعلومات.

1 - Danion Rizzo, Huron, Op.cit, p 80.

2 - Danion Rizzo, Huron, Op.cit, p 81.

3 - Danion, Peretti, Gras-Vincendon, Singer, les troubles de la mémoire dans la schizophrénie, l'encéphale, presse universitaire, 1992, p 210.

4 - Danion, Peretti, Gras-Vincendon, Singer, Op.cit, p 216.

خلاصة

إنّ استدعاء أو استرجاع الذكريات هذا لا يعني إنتاجها بل إعادة بنائها إن الذاكرة الأوتوبيوغرافية تعتمد على ما هو موجود في الواقع. إن الذكريات الأوتوبيوغرافية تتخزن وتعمل على تبادل وتحقيق مجموعة من التمثلات (المحتوى، المكان، الزمان)، أو كتمثل فريد ووحيد من نوعه.

إنّ الدراسات والبحوث التي قمنا بعرضها في هذا الفصل بيّنت بأن هناك قصور واضطراب في الذاكرة الأوتوبيوغرافية عند الحالات المصابة بالفصام، لكن وجدنا دراسات قليلة في هذا الصدد.

وإنّ المقاربة التي تقوم على "للشخص الأول" — Tulving سنة 1985 تسمح لنا بدراسة مباشرة للتجارب الذاتية المشتركة مع الذكريات، Danion وآخرون في أبحاثهم الخاصة بالفصام سمحت النتائج المتوصل إليها بأنّ هناك قصورا من الناحية الكمية والكيفية للاستذكار الواعية "remémoration consciente".

ولإجراء تقييم واسع لاضطرابات الحالات الذاتية للوعي في ذاكرة الأحداث، من الضروري التركيز على الذاكرة الأوتوبيوغرافية، ومع ذلك هناك عدد قليل من الدراسات في التراث السيكلولوجي الذي اهتم بعملية الاستذكار الواعية في الذاكرة الأوتوبيوغرافية وذلك بسبب صعوبات نظرية ومنهجية وخاصة تلك الأدوات القياسية والتقييمية، ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ أنّه لم يحدث سوى عدد محدود جدا من البحوث التجريبية الخاصة بالفصام.

قائمة المصادر والمراجع

1. الخولي هشام محمد، الأساليب المعرفية وضوابطها في علم النفس، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2002.
2. الزياد فتحي مصطفى، الأسس البيولوجية والنفسية للنشاط المعرفي، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1998.
3. رضوان فوقيه حسن، الاضطرابات المعرفية والمزاجية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2004.
4. Neves, Rui Dasilva, psychologie cognitive, Armand Colin, Paris, 2004.
5. Serge Nicolas, la psychologie cognitive, Armand Colin, Paris, 2003.
6. -Pascalie Piolino, Béatrice Desgranges, Francis Eustache, la mémoire autobiographique théorie et pratique, solal édit, France, 2000.
7. Eustache, desgranges, Guillery, Lebreton, les conceptions multisystèmes de la mémoire, presse universitaire, Paris, 2000,¹ -
8. Tulving Endel, concepts of Human memory, Oxford university press, 1991.
9. Conway, autobiographical memory, Open University Press, England, 1990.
10. Danion Rizzo Hurren, troubles de la mémoire à long terme dans la schizophrénie, l'encéphale, presse universitaire, France, 1998.
11. Cadet Bernard, psychologie cognitive, presse édition, Paris, 1998.
12. Andler Daniel, introduction aux sciences cognitives, Gilmand édition, Paris, 1992.
13. Serge Nicolas, Mémoire et conscience, Armand Colin, Paris, 2000.
14. Shacter, à la recherche de la mémoire, Bruxelles, 1999.
15. J. Gardiner, Episodic memory and autonoetic consciousness: a first person approach, seri biological, sciences, 356,1351-1362, 2000.
16. Danion, Peretti, Gras-Vincendon, Singer, les troubles de la mémoire dans la schizophrénie, l'encéphale, presse universitaire, 1992.